مقاومة الزعاطشة من خلال موقف ومراسلات شيوخ الزوايا

بالزاب الشرقي واحمرخدو

الأستاذ: عباس كحول، جامعة عنابة، الجزائر

الملخص:

شهدت الجزائر في نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر ميلادي إحدى أبشع الجرائم التى ارتكبها جيش الاحتلال الفرنسى، كانت واحة الزعاطشة بمنطقة الزيبان مسرحا لها. وهو ما سوف نقف عليه من خلال موقف ومراسلات شيوخ زوايا الزاب الشرقى واحمر خدو(الشيخ عبد الحفيظ الخنقى شيخ زاوية الخنقة والشيخ الصادق بن الحاج شيخ زاوية لقصر) من مقاومة الزعاطشة ومع الشيخ بوزيان.

Abstract:

Algeria witnessed at the end of the first half of the nineteenth century, one of the most heinous crimes committed by the French occupation army, the scene was at zaatcha oasis in Ziban.

who hold him by the attitude and the correspondence Zaou chergui old Zaouia and red Khaddou (Sheikh Abdul Hafeez Sheikh zaouïa el khanga and Zab chergui, Sheikh Sadiq al-Haj Sheikh zaouïa el kasr) zaatcha resistance of Sheikh Bouziane.

1- احتلال الزيبان(بسكرة):

رغم تعاون كل من ابن برباش وابن بعطوش مع فرنسا وفوز ابن قانة بمنصب شيخ العرب بالزيبان[1]،إلا أنه في 1842م بعد انتقال ابن قانة للتل حسب عادة البدو الرحل وقع الاتصال والاتفاق بين محمد الصغير بن أحمد بن الحاج والأمير عبد القادر الذي عينه خليفة على الزيبان والصحراء[2]لمواجهة الاحتلال وأعوانه مما ساهم في حدوث مناوشات بين بوعزيز بن قانة ومحمد الصغيربن أحمدبن الحاج، فتدخلت فرنسا من جديد عن طريق الجنرال براغاي ديليهParaguey,d,hillieers وحددت المناطق التي يتحكم فيها ابن قانة بعد حذف منطقة الجريد[3]،مع العلم أنها تقع في تونس أصلا،وبعدما انضم أحمد باي بن شنوف وهو من أبرز قيادات الزاب الشرقي إلى محمد الصغير تمكن الأخير من دخول بسكرة والسيطرة على القصبة فعادت السلطة إلى الأميربعدما فقد ابن قانة عشرين فارسا وعشرون حصانا وخمسة وأربعون رجلا جريحا،من خلال تقرير ابن قانة الى سلطة فرنسا بقسنطينة الذي ضمنه تهويلا لحالة الزيبان تحت سيطرة محمد الصغير، طالبا النجدة الفرنسية من خلال مبعوثه المدعو سي خالد.[4]

قرر الدوق دومال الابن الرابع ل:لويس فيليب وهو لم يتجاوز اثنتا وعشرون سنة تحقيق أهداف فرنسا في السيطرة على الزيبان وبالتالي الأوراس والصحراء وتجسيد الدراسات الاستكشافية السابقة وبعثاتها المتعددة في ربيع 1844م والقضاء على خليفة الأمير وقائده أحمد بن عمر وتصفية أمر أحمد باي، فتحركت القوات الفرنسية حسب تقرير دومال منذ 08 فيفري 1844م وأقامت بباتة مركزا عسكريا للتموين والإمداد[5] ،يتكون من ثلاثة الاف جندي في انتظار وصول ألف جمل من شيخ العرب ابن قانة،رغم محاولات أولاد سلطان والأخضر الحلفاوية اعتراضهم في القنطرة،غير أن العقيد بوتافاكوButtafaco كلف الرائد قوبارGobar بتامين الطريق وملاحقة المعترضين الى جانب طابور الجنرال سيلاغ Sillague الذي التحق بهم من سطيف في 18 فيفري 1844م، وأخذت الحملة طريقها الى الزيبان في 25 فيفري 1844م تحت قيادة دومال بمؤازرة من

مونتبونسيه Montpensier أخ الدوق والعقيد مكماهون Mac-Mahon لتامين الطريق ومراقبة القبائل[6]،حتى وصلت الى القنطرة في 29 فيفري 1844م[7] ودخل بسكرة في 04 مارس 1844م بعدما غادرها خليفة الأمير،فقام الدوق دومال بتحريك وتوجيه أعوانه لقراءة المجتمع ودراسته،منهم الرائد طوماس Thomas والنقيب دونيفو Deneveau والنقيب ديفوDesveau والنقيب فورنييهFournierواتخاذ إجراءات عقابية ضد المقاومين[8]، لكن محاولات التوغل واجهت مقاومة عنيفة[9]،بعدها جند ثلاث مئة من الأهالي لحماية القصبة تحت سلطة الضابط الملازم بتي قرونPetitgrand وشيخ العرب[10]ويخضعان للرائد طوماسThomas.

2_سياسة الاستعمار الفرنسي بالزيبان بعد احتلال بسكرة:

بادر الاحتلال الفرنسي بعد احتلال بسكرة الى فرض إرادته على المنطقة باتخاذ إجراءات قمعية بعد انتهاء مهلة 25 مارس 1844م، بحجز أملاك المجاهدين ومعاقبة المقاومين المحجوزين وإلقاء القبض على المشاغبين وحبسهم وتحويلهم إلى سجن قسنطينة[11]،ثم الهجوم على بلدة مشونش وقبائل بني أحمد بالواد الأبيض باستعمال أعتى العتاد الحربي في ضرب السكان والدور والواحات في 1844م عقابا لها احتضان المقاومة بزعامة محمد الصغير وإبراهيم بن الصادق بن الحاج وغيرهم[12].

ثم معاقبة اولاد سلطان جراء غارتهم على مركز باتنة وحماية أحمد باي،تركت بسكرة إثرها تحت سلطة الرائد توماسThomas[13] ففرض الرسم الضريبي ب 150000 فرنك ودشنها بالغارة على الزاب الشرقي على أولاد صولة والخنقة وفرض السخرة لبناء القصبة.

في 25 أفريل 1844م تعرض أولاد سلطان من جديد لهجوم فرنسي كاسح،فتعرضت المنطقة للقمع وأحمد باي للملاحقة[14]،لكن بعدما تمكن محمد الصغير من افتكاك بسكرة من جديد بخطة ناجحة ومقاومة باسلة،عاد الدوق

دومال للمرة الثانية إلى بسكرة بقوة عسكرية في 16ماي 1844م بعدما أخلاها محمد الصغير خوفا على الأهالي،إلا أن القوات الاستعمارية مارست الاغتصاب والنهب وهتك الحرمات والقتل وحجزالأملاك والقمع الواسع واستبد ابن قانة وتسلط على الأهالي وفرض على بسكرة شتى أنواع الظلم[15]، ومن الموبقات المرتكبة ببسكرة إقامة العساكر في بيوت الناس وتخريب الجامع الأعظم وربط الخيول في المساجد وشرب الخمر[16]، إلى جانب سياسة فرق تسد بين القيادات والزوايا والأعراش كما حدث بين عائلتي ابن قانة وبوعكاز على مشيخة العرب،وبين أحمد باي والأمير على النفوذ بالمنطقة وبين الزوايا المروضة المدجنة والزوايا الرافضة المقاومة،وبين الأعراش كأولاد صولة بفرعيها المتناحرين بالزاب الشرقي البوعبد الله وابن شنوف،وبين أعراش الدواودة التوابة وبني سليمان فيما بعد.[17]

أعقبه صدور قرار 23 ماي 1844م عين بموجبه الرائد طوماس Thomasعلى بسكرة وتقسيمها على النحو الآتي:

قيادة شيخ العرب: بوعزيز بن قانة ولقب نفسه بالخليفة على الصحراء وتمتد سلطته على إحدى عشر 11 قبيلة[18] :

- ✓ واحة بسكرة:تحت سلطة محمد الصغير بن علي بلقيدوم بن قانة و تقسم الى ست أحياء.
- ✓ الزاب الظهراوي: بوشقرون ،فرفار،البرج،ليشانة،الزعاطشة،طولقة.
- ✓ الزاب القبلي: أورلال،ليوة،مخادمة،بن طيوس، مليلي، الزاوية، مناهلة، بيقو، أوماش، الصحيرة
- ✓ البدو والآخرين: رحل الجنوب، عرب الشراقة،عرب الغرابة،أولاد سيدي صالح.

- ✓ قيادة سي مقران:أولاد سي مقران،أولاد سي محمد بلحاج،الحضنة،أولاد دراج،أولاد زيان،بني سويك، بني فرح،أولاد سحنون، القنطرة، البرانيس، الصحاري، مدوكال، أولاد عبدي، سيدي خليل، الدروع.
- ✓ قيادة الزاب الشرقي:قسم بين الفرعين المتنافسين من أولاد صولة وهما البوعبد الله وابن شنوف.[19]

إلى جانب العمليات والحملات العسكرية على الجنوب والجنوب الشرقي،منها حملة روندون بين أفريل 1844م و1845م على تبسة وسوق أهراس مرورا بالمنطقة وحملة دومال على الأوراس[20] وأحمرخدو 1844م وأخرى تحت قيادة هيربيون في جويلية 1846م وحملة كونروبار في ماي وجوان 1848م وحملة سانت أرنو في ماي وجوان 1848م،ثم بين أفريل وماي وجوان 1850م الى الأوراس وباتنة وبسكرة والنمامشة وتبسة[21].

أما الزاب الشرقي فتعرضت لعدة عمليات عسكرية استطلاعية من جهة ولبسط النفوذ والهيمنة وقمع الأهالي وقتل روح المقاومة من جهة أخرى،على غرارعمليات سانت جرمان Saint germain وسانت أرنو Saint Arnautوالضابط طوماس Thomas وهيربيون Herbillon والجنرال ليفسور Levasseur بأحمرخدو والخنقة التي تعرضت الى قصف مدفعي 1846م[22].

تكرر في أولاد جلال عام1847م وأدى الى سقوط العشرات من الشهداء بأمر من الجنرال هيربيونHerbillon من أجل فرض الهيمنة بالقتل والقمع والانتقام من المقاومين وترويع الأهالي وانتهاج سياسة فرق تسد،بينما كانت المقاومة مقسمة[23]،وبالمقابل تحصلت بعض العائلات والشخصيات الدينية العريقة على الاعتماد لبسط نفوذها بالمنطقة على غرار محمد بن الطيب بن سيدي ناجي[24] بالخنقة،إضافة الى قيادة الزاب الشرقي المرتبطة بابن قانة والإدارة الفرنسية من أولاد صولة بفرعيها: البو عبد الله و ابن شنوف.[25]

3. ردود الفعل الوطنية اتجاه الاحتلال الفرنسي:

أ.المقاومة الأولية:

رغم احتلال بسكرة وقمع المحتل للمعارضين وشراء ذمم المتعاونين،إلا أن روح المقاومة[26]انتشرت في جوار بسكرة،كان أولها معركة مشونش 15مارس1844م حيث يتحصن خليفة الأمير محمد الصغير في حماية قبائل بني أحمد[27]وعلى رأسهم مقدم الرحمانية بمشونش الشيخ أمقران حمودة وإبراهيم بن الصادق بن الحاج ورغم وحشية الاحتلال في دك البلدة بالأسلحة الثقيلة،إلا أن حصانة المنطقة ومقاومة أهلها حال دون أهداف دومال رغم الدمار الذي تعرضت له الواحة[28]،وقد فقد الجيش الاستعماري ستة جنود منهم الضابط برون Boraud [29] بينما فقد المجاهدون أربعة عشر شهيدا[30].

بالمقابل كانت قبائل أولاد سلطان تهاجم المراكز العسكرية في إقليم باتنة لتخفيف الضغط على الزيبان مما عرضهم للانتقام الاستعماري جراء مقاومتهم وحمايتهم لأحمد باي،أما محمد الصغير فقد شكل لجانا لنشر الوعي وفتح مجال التطوع للجهاد حتى تجمع لديه خمس مئة 500 فارس وجه منهم مئة و خمسون 150 فارسا للاستسلام ضمن خطة عسكرية للسيطرة على قصبة بسكرة،وهوما تم بالفعل في 12 ماي 1844م لتخفيف الضغط الاستعماري على أولاد سلطان، وترأس عملية اقتحام القصبة المجاهد أحمد بن غردى تحت قيادة القائدعلي بن ميلي[31].

بعدما التحق شيخ العرب بالدوق دومال لمعاقبة أولاد سلطان وأولاد بوعون، فقتل في اقتحام القصبة الضابط كروشار**Crochard** وبتي قرون**Petitgrand** والطبيب أرسلين بينما فر العريف بيليس **Pelisse**[32].في نفس الوقت كان الصادق بن الحاج يقاوم بسيدي عقبة وأحمرخدو،لكن بسكرة تعرضت للاستباحة بعدما دخلها دومال للمرة الثانية في 18 ماي 1844م، أما محمد الصغير فقد هاجم بين 30 جوان 1844 و8جويلية 1844م منطقة لحبال

والدروع حيث وقعت معركة علب لمصارة ودخل سيدي عقبة في 8جويلية 1844م ثم الخنقة في 25 جويلية 1844م باستعمال الدواودة التوابة، بعدما شكل لجان توعية وتجنيد بالمنطقة[33]وخلص المنطقة من الشيوخ المتعاونين مع الاحتلال،تزامنا مع رفع الشريف احمد بن بلقاسم النموشي لواء الجهاد ومهاجمة الخنقة وبادس وليانة وطرد العدو[34]لولا التدخل والقمع العسكريين لسانت جيرمان في أكتوبر 1846م.

أما ناحية سيدي خالد وأولاد جلال فقد أثار وصول الثائر بومعزة[35]روح الجهاد بالمنطقة واستعداد الزاوية المختارية للجهاد بعد مؤازرة علي باي بن فرحات بن السعيد للثورة،فتعرضت البلدة للقصف بأمر من هيربيون خلف سقوط اثنان وستون شهيدا[36].

أما أحمد باي فقد وجد الحماية عند قرية أكباش عرش أولاد عبد الرحمان بالقرب من أولاد أيوب حيث الصادق بن الحاج و زاويته[37] بعدما اعتصم احمد باي وخليفة الأمير محمد الصغير بن عبد الرحمان بن احمد بلحاج بالأوراس، الأول بمنعة عند عائلة ابن عباس صاحب الزاوية القادرية والثاني عند عائلة ابن حبارة والتي كانت مركزا للذخيرة والمؤونة، وبعد احتلال بسكرة أعلن أهل الأوراس استعدادهم للمقاومة وتحريرالمدينة[38].

وبالمقابل كانت قيادة أولاد سلطان والحراكتة تضرب القواعد الخلفية للاحتلال لتخفيف العبء على مشونش والزيبان[39]، بعدما توحدت أعراش الأوراس وراء أحمد باي ومحمد الصغير وشيوخ الزوايا خلال مارس وأفريل 1844م[40]. فقرر الاحتلال تنظيم حملة أخرى على المنطقة من جهة الشمال في 25 أفريل1845م تحت قيادة الجنرال بودوPedou والعقيد هيربيونHerbillon في 14 ماي 1845م، إلا أنها واجهت مقاومة من المجاهدين بمنعة ونارة حيث أحمد باي ومحمد الصغير في 22 ماي 1845م، وفي نفس الوقت واجهت الحملة على أعراش الزاب الشرقي عند سفوح الأوراس واحمرخدو في 04 جوان 1845م مقاومة بني بو سليمان والسراحنة والشرفة وبني ملكم وأولاد أيوب واولاد زرارة

وأولاد عبد الرحمان كباش وأولاد سليمان بن عيسى وبني محمد وأهالي الخنقة حيث الزاوية المجاهدة لعبد الحفيظ الخنقي حتى 20 جوان 1845م، وبالمقابل كانت زاوية لقصر للصادق بن الحاج تنادي بالجهاد رغم الحملة الوحشية للجنرال كانروبيرCarnoberd، وقد عز على قبائل أولاد عبد الرحمان كباش أن يسلم أحمد باي نفسه بينهم رغم رفضه لإغراءات فالي valee السابقة[41]،فعرضوا عليه التضحيةبانفسهم لحمايته لكنه آثر حماية الأهالي في 05 جوان 1848م حيث الرائد سانت جيرمان بعدما حاصر الاحتلال المنطقة[42]وقطع بايات تونس أي أمل لدعم المقاومة[43].

إلا أن عزيمة محمد الصغير وسيدي عبد الحفيظ لم تصب، فتحركا باتجاه الجنوب الشرقي للأوراس والزاب الشرقي،والى كل الشيوخ ومقاديم الطريقة الرحمانية استعدادا لمواصلة الجهاد[44].

ب-مقاومة الزعاطشة: [45]

بعد استسلام الأمير عبد القادر في 1847م واحمد باي في 1848م، تحرك الشيخ بوزيان الزعطوشي[46]شيخ واحة الزعاطشة بالدعوة للجهاد ضد الاحتلال وقد ساهمت عدة أسباب في اندلاعها منها: رفض احتلال الزيبان وكل القطر الجزائري[47]وتأثير التحولات التي طرأت على فرنسا بعد ثورة 1848م بعزل الملك لويس فليب وحتى ابنه دومال الحاكم العام في الجزائر وتعيين كافيناكCavignac[48]وانتقال بعض الوحدات العسكرية من الجزائر إلى فرنسا وانتشار أخبار توتر العلاقات بين فرنسا وبريطانيا وقد وصلت الى الزيبان عن طريق اليد العاملة البسكرية بالعاصمة، إلى جانب اشتغال الاحتلال بقمع الثورات في القطاع القسنطيني وغيرهاكثورة الزواغة وبني يعلي مليكش بجبال جرجرة وأولاد دراج بالحضنة وأولاد فرح ببوسعادة .

فتراجع عدد قوات الاحتلال ببسكرة إلى ثمان مئة 800 جندي في غياب القائد سانت جيرمان[49]، وسياسة الغطرسة الاستعمارية بالزيبان من خلال

عمليات القمع والاعتداء على الحرمات ورفع ضرائب النخيل في مارس 1849م من 0.25 فرنك الى 0.40 فرنك للنخلة وإلغاء امتيازات المرابطين و الاستيلاء على الأوقاف[50]، مما حرك روح الجهادوالمقاومة[51]باستعمال الكرامات[52] إلا أن العامل الأساسي هو رفض الاحتلال واستمرار روح الجهاد في الشعب الجزائري[53].

وقد أشعلت التصرفات المتعجرفة للملازم سيروكاSorokaفتيل شرارتها عندما حاول صحبة شيخ طولقة ابن الميهوب إلقاء القبض على الشيخ بوزيان،بعدما انتشرت أخبارعن توافد العروش والقبائل والزوايا إليه تحضيرا للثورة،فتعرضت الفرقة العسكرية المصاحبة لسيروكا لهجوم من أتباع الشيخ بوزيان بالزعاطشة [55] .

وعلى اثر تقرير الضابط سيروكا عن الأحداث،طلب بدوره الضابط دوبوسكييهDubesquet رئيس المكتب العربي من سكان واحة الزعاطشة تسليم بوزيان، لكنهم أعلنوا استعدادهم للموت وما لبث أن تحمس سكان فرفار وفوغالة وبوشقرون وطولقة للثورة وتمردوا عن السلطة الفرنسية،فتحرك ابن قانة بوعزيز بأمر من النقيب لاقرونيهLagreunee بمحاصرة الزعاطشة وفرفار وليشانة وعزلها باستعمال قوات القوم[56]، إلا أن لهيب المقاومة انتشر والمدد وصل تباعا من كل صوب[57]،ويمكن تقسيم مقاومة الزعاطشة الى ثلاث مراحل:الانتصار ثم الحصار وأخيرا الانكسار[58].

تبدأ بحصار العقيد كربوشياCarbuccia للواحة في 16 جويلية 1849م لكنه تلقى هزيمة نكراء على يد المقاومين وكاد يقضى عليه من طرف سرايا المدد من مسيلة وبوسعادة وأولاد نايل الذين هبوا لنصرة بوزيان[59] مما زاد في حماس الناس للجهاد،خاصة مقدمي إخوان الرحمانية وعلى رأسهم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي والشيخ الصادق بن الحاج الى جانب خليفة الأمير محمد الصغير بن الحاج،الذين قضوا على الرائد سانت جيرمان في معركة واد أبراز[60] برصاصتين في الرأس[61].

بعد مقتل الرائد سانت جيرمان تحرك حاكم قسنطينة هيربيون وتوجه الى الزعاطشة مباشرة بعدما عين العقيد كاربوسيا خلفا له، فحاصر الزعاطشة عند كدية المائدة بعد احتلال الزاوية القريبة منها ومقاطع الطرق في 07 أكتوبر 1849م بقوات تتعدى أربعة آلاف وأربعة مئة وثلاثة وتسعون جندي[62]، مستغلا الظروف الفصلية الجديدة الملائمة لتحرك جيش الاحتلال الفرنسي.

تعرضت بعدها الواحة لقصف مدفعي مركز،لكن مقاومة المجاهدين خلفت سقوط 25 جنديا و47 جريحا من الفرنسيين، فأستنفربوزيان إرسال النجدات من الأعراش والزوايا،فقدمت من بوسعادة وأولاد نابل وواد سوف وحتى من نفطة حيث زاوية مصطفى بن عزوز يقودهم محمد الصغير بن أحمد بلحاج.[63]

لكن بعد وصول الإمدادات الاستعمارية بحوالي 800 جندي من قسنطينة وباتنة وبوسعادة وسكيكدة وعنابة ،تحت قيادات عرفت بالقمع على رأسهم بارال Barral والعقيد كانروبار conaobert ولورمال Lormel والعقيد دومانتال Domantel الذين أعطو الإشارة لعمليات الإبادة الشاملة في 28 نوفمبر 1849م بالتخريب الكلي للواحة والقتل الجماعي دون أي تمييز، رغم ذلك استمرت المقاومة ورفض الأهالي الاستسلام دارا دارا وفردا فردا،على رأسهم الشيخ بوزيان وابنه الشاوشي وموسى الدرقاوي، حتى قضوا مع ثمان مئة شهيد، فقطعت رؤوس القادة الثلاثة وعلقت على أبواب بسكرة[64]، ونصبت المحاكم ونفذت الإعدامات.

وقد خلدها شعراء المنطقة أمثال محمد الليشاني وابن الشرفي الفلياشي[65] لبسالتها وفظاعة المجازر الاستعمارية المرتكبة من خلال اقتحام الواحة وتدميرها والإجهاز على الأهالي والمصابين وما أعقبها من عقاب للمناطق المساندة، فاحتلت بوسعادة رغم مقاومة محمد علي بن شبيرة في نوفمبر 1849م وتم حرق واحة بلدة نارة على واد عبدي بالأوراس في 05 جانفي 1850م، فرقي بعدها

كانروبار الى جنرال جراء جرائمه،ولم تسلم زواوة من العقاب حيث قطع رأس بومعزة بعد استشهاده بسور الغزلان 1849م.(66)

تركت مأساة الزعاطشة آثارا عميقة في الزيبان وكل الجزائر،فقد أكدت وحشية الاحتلال الفرنسي وأهمية توحيد جهود المقاومة و تنظيمها وتصفية قضية الخونة.(67)

4-موقف ومراسلات شيوخ الزوايا:

أ. من الشيخ بوزيان الى الشيخ عبد الحفيظ الخنقي:★★

الرسالة مؤرخة بين جويلية واوت1849م، من الشيخ بوزيان قائد مقاومة الزعاطشة الى الشيخ عبد الحفيظ الخنقى شيخ زاوية الخنقة وشيخ الرحمانية بالزاب الشرقي،المراسلة بين الشيخين فى اطار التنظيم والتخطيط والتنسيق للمقاومة ومواجهة الإحتلال وتحرير بسكرة وطرد المحتل ونصرة الدين...وقد بدأها الشيخ بوزيان بعد ذكر الله والصلاة على رسول الله بأسمى عبارات الاحترام والتبجيل للشيخ الخنقى...وتشير الرسالة ان عبد الحفيظ الخنقى كان قد راسل الشيخ بوزيان يسأله عن تطور الاحداث...وتشير الرسالة ان الشيخ بوزيان يحفظ للخنقى موقفه فى اعادة اعلان نصرة الدين(الاشارة موجهة لبعض الشيوخ المتخاذلين الذين اضروا بالدين الاسلامي بمواقفهم)...وتشير الرسالة الى التخلف عن الموعد السابق الذي كان محددا بيوم السبت،وان الشيخ بوزيان ينتظر وصول وعود من ناس الشرق،وبعد وصولهم يتحرك بوزيان ورجاله،ويتعهد بارسال رسالة للخنقى حينها لاعلامه ووضعه فيى صورة المستجدات للاستعداد واتخاذ قرار النصرة...ويخبره باستعداد الزاب الظهراوي والزاب القبلي لنصرة الدين...وانتهت الرسالة باعادة السلام والدعاء بالتوفيق والنصرة له ولكل المجاهدين.

وتضمنت حواشى تذييل الرسالة معلومات أخرى تضمنت:

-ان الرسالة كتبت في ليلة الجمعة الى السبت السادس والعشرون من الشهر.

-ان رجال بوزيان سوف يتحركون ويحطون بواد مليلي،ويطلب من الخنقى عندما تصله الرسالة بالمعلومة ،بجمع رجاله والتحرك بكل عزيمة.

-عندما نغادر واد مليلي سوف نحط باوماش لنلتقى(بوزيان والخنقى) في بسكرة،ويطلب من الخنقى باجابته سريعا عن الموضوع وعن مكان الذي سوف يلتقيان ويجتمعان فيه.(اذا التنسيق كان هدفه تحرير بسكرة،وما وقع بسمرىلمزعاطشة وماوقع في واد براز لمنع الوصول الى بسكرة وتحريرها من المحتل).

-يخبره ايضا ان اولاد خالد واولاد زكري كاتبوه ليطلبوا منه ان ينتظر التحاقهم به...ثم يعيد تاكيد المعلومة السابقة(عندما نتحرك ،تصلك رسالتي ،هنا اجمع رجالك لتأتي الينا ولقاءنا في بسكرة، اما في منبع الماء الشمالي او في القارة...سلام). انتهت الرسالة.[68]

ب.من الشيخ بوزيان الى الشيخ الصادق بن الحاج: ★★★

الرسالة مؤرخة بين جويلية واوت1849م،من الشيخ بوزيان قائد مقاومة الزعاطشة الى الشيخ الصادق بن الحاج شيخ زاوية لقصر باحمر خدو،المراسلة بين الشيخين فى اطار التنظيم والتخطيط والتنسيق للمقاومة ومواجهة الاحتلال وتحرير بسكرة وطرد المحتل ونصرة الدين...وقد بدأها الشيخ بوزيان بعد ذكر الله والصلاة على رسول الله بأسمى عبارات الاحترام والتبجيل للشيخ الصادق بن الحاج...وتشير الرسالة ان الصادق بن الحاج كان قد راسل الشيخ بوزيان يسأله عن تطور الأحداث...ويمدحه ويشجعه على موقفه نصرة الدين ويعتذر له عن الموعد السابق السبت الماضى بالتحرك، في انتظار وصول وعود من ناس الشرق...وعندما يصل المدد سوف نتحرك ويصلكم جواب بذاك لاعلامكم،اذا استعدوا جميعا ولاتتخلفوا عن نصرة الدين...ويخبره ان الزاب القبلي والزاب الظهراوي على استعداد لنصرة الدين على غرار كل المسلمين الذين اجتمعوا على هذا العهد...الرسالة كتبت في ليلةالخميس إلى الجمعة السادس والعشرين من

الشهر...سوف نتحرك ونحط بواد مليلى ،عندما يصلك جوابي أجمع رجالك والتحق بنا بكل عزيمة.

تنتهى الرسالة بالسلام من الشيخ بوزيان وبالدعاء للرسول ويبلغله سلام كل المجاهدين.

وتضمنت حواشى تذييل الرسالة معلومات أخرى تضمنت:

- ✓ يطلب من الصادق بن الحاج ان رسل له دليلا ليرشد حامل الرسالة على الطريق.
- ✓ عندما نغاد رواد مليلي نحط باوماش لنلتقي ببسكرة،وطلب منه تحديد مكان الالتقاء.
- ✓ اولاد خالد واولاد زكري كاتبونا لانتظارهم...
- ✓ لما نتحرك سوف يصلك الجواب(رسالة)، أجمع رجالك واحضر للقاءنا في بسكرة عند منبع الماء الشمالي او في القاره.
- ✓ يجب اعلام اولاد لخظر(الخذران) لحثهم على قطع الطريق على النصارى.(69)

خاتمة:

- ✓ الوثائق الجديدة تؤكد ان هدف المقاومة بالزيبان في1849م لايرتبط بإطار جهوى محلي ضيق ،بل بأهداف وطنية،وتتمثل في تنسيق جهود المقاومة الوطنية لطرد المحتل من بسكرة...
- ✓ ان الهجوم الذى قاده هربيون على واحة الزعاطشة وابادتها من جهة،وخروج سان جيرمان لقطع الطريق أمام عبد الحفيظ الخنقى والصادق بن الحاج ومحمد الصغير بن الحاج بواد ابراز من جهة أخرى، يندرج في اطار خطة عسكرية لمنع وصول المقاومة إلى بسكرة...
- ✓ الإمعان في ارتكاب جرائم وحشية بابادة واحة الزعاطشة وحرق نارة واحتلال بوسعادة ،وتسليط العقاب الجماعي على القادة والشيوخ والاعراش،لزرع الرعب وضرب روح المقاومة الوطنية...
- ✓ مقاومة الزيبان1849م جاءت في ظرف تاريخي حرج، بعد اعتقال الامير عبد القادر1847م والحاج أحمد باي1848م، وبروز والمشروع الاستعماري للتوسع باتجاه الجنوب الصحراوي الجزائري...
- ✓ بقدر اتساع دائرة التأييد الذى وجدته مقاومة الزعاطشة من أعراش وزوايا الزيبان (رحمانية، قادرية، درقاوية)، وخارجه من الأوراس واحمر خدو والحضنة وحتى من الجريد التونسي (زاوية مصطفى بن عزوز بنفطة)، بل من مصر ايضا(الشيخ موسى الدرقاوي)، فان مواقف بعض الشيوخ والقياد اضرت بالمقاومة،بفعل سياسة الترهيب والنياشين...
- ✓ المقاومة الشعبية بالزيبان لا تفتقر للشجاعة والتضحية، وانما الوحدة الوطنية كانت في طور التبلور، وجرائم الاحتلال الفرنسي في قمعها بوحشية لاتمنحه اي شرف...
- ✓ متحف الانسان الأنثربولوجي بباريس مازال يحتفظ(يختطف) جماجم شيوخ وقادة مقاومة الزعاطشة بعد قطعها بوحشية[70]، وعلى السلطات

والمجتمع المدني التحرك لاسترجاعها واعادة الاعتبار للذاكرة،فهؤلاء قطعت رؤوسهم كي تبقى رؤوس الجزائريين مرفوعة.

❖ هوامش البحث:

(*) ينظر الملحق *أ(جماجم قادة وشيوخ المقاومة الشعبية بالمتحف الأنتروبولوجي بباريس)

(1) خمار احمد،تحفة الخليل نبذة من تاريخ بسكرة النخيل (إصدارات الجمعية الخلدونية مطبعة الفجر، بسكرة: 2008)،ص 20.

(2) ابراهيم مياسي،لمحات من جهاد الشعب الجزائري (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2007). ،ص 69..وأنظركذلك: يحي بوعزيز،كفاح الجزائر من خلال الوثائق (المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر: 1986)،ص 56 .

(3) Bouaziz Ben gana, le Chikh arabe, étude historique sur la famille Ben gana (Alger : 1930), p83.

(4) إبراهيم مياسي ،" احتلال بسكرة 1844 "، الخلدونية، ع 02 (2003)،ص 49.

(5) Rapport du 22 mars 1844 du duc d'aumale, R A, N° 29, 1885, pp 13-27.

(6) Charle Feraud, Feraud charle, «les bendjellab,sultan de Touggourt, note historique de la province de Constantine », RA vol, 25, O.P.U (1881), p 470,471.

(7) إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر(ط2؛ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر: 2007)، ص 63 .

(8) إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837 –1939 (دار هومة، الجزائر: 2005)،ص 46،47. أنظرايضا:احمد حسين سليماني« نزع الملكية العقارية

للجزائريين1830-1871. » المصادر،ع06،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر1954،الجزائر، (2002)ص120.

(9) محمد العربي حرزالله ،منطقة الزاب مائة عام من المقاومة 1830-1930 (دار السبيل،الجزائر: 2009)،ص 47 .

(10) مياسي ، الاحتلال الفرنسي ، المرجع السابق ، ص 48.

(11) مياسي ، من قضايا ، المرجع السابق ، ص 64 .

(12) Rapport du 22 mars 1844 du duc d'aumale dans R A, N° 28,1884, pp467-478 .

(13) Rapport du 22mars1844du duc d'aumale, RA, N°29,1885, op, cit, pp13-27

(14) مياسي ، من قضايا ، المرجع السابق ، ص 66 .

(15) خمار، المرجع السابق، ص 14، 15.

(16) خمار، نفس المرجع،ص 17.أنظرايضا: يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830-1954 (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1995) ص 95 .

(17) حمد الطاهر عزوي ،" مقاومة الأوراس خلال الاحتلال الفرنسي القرن التاسع عشر الفترة ما بين 1837-1879"، التراث،ع 01 ،دار الشهاب، باتنة (جويلية 1986)،ص 38 .

(18) محمد الصالح بجاوي،متعاونون ومجندون في الجيش الفرنسي 1830-1913(دار القصبة ،الجزائر: 2009)ص126 .

(19) مياسي، من قضايا، المرجع السابق، ص 70، 71 .

(20) اجتاح الأوراس وأحمرخدو عشر ضباط بين ماي وجوان 1845م. أنظر:عزوي، المرجع السابق، ص 44 .

(21) أحميدة عميراوي، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة: 1999)، ص 96 .

(22) فرانسوا مسبيرو، سانت أرنو أو الشرف الضائع،تر.حاج مسعود. ومر.أحمد بكلي (دار القصبة، الجزائر: 2007) ص 321، 322 .

(23) مياسي ، الاحتلال الفرنسي ، المرجع السابق ، ص 56.

(24) عبد الحميد زوزو، الاوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1837 -1939،ج1، تر.حاج مسعود (دار هومة، الجزائر: 2005)،ص 134 .

(25) مياسي، الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص 55.أنظر أيضا: محاضرة مخطوطة لزهير الزاهري مكنني منها عبد الحليم صيد.

(26) قبل احتلال الزيبان كانت المقاومة عند مضيق القنطرة حيث تولى 600 فارس من أولاد سلطان والأخضر الحلفاوية المقاومة وإعاقة قافلة بن قانة .أنظر :مياسي،الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق،ص56،57.

(27) Seroka JUSQU'A, « le sud constantinois 1830 – 1855 », RA, vol 56, Alger, O.P.U (1912), p 329,330.Voir aussi Charle Féraud, les Bendjellab, R A, N° 28,1884, op, cit, p 475.

(28) فوزي مصمودي، أعلام من بسكرة،ج2(الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة: 2010). ص 33 .

(29) خلدها الرسام الفرنسي رافي **Raffet** في لوحة زيتية .

(30) مياسي ،احتلال بسكرة، المرجع السابق، ص 44 .

(31) خليفة –بن قارة « وقفة في محطات المقاومة الشعبية » الخلدونية، ع3، (ديسمبر 2004)، ص11 .

(32) نسجت حول عملية فراره عدة روايات يختلف فيها تعقيب فيرو عن مزاعم لويس رين ، أنظر في ذلك: أرشيف بسكرة: تقرير توماس في 12/ 05/ 1844م .

(33) عزوي ، المرجع السابق ،ص 43 .

(34) صالح مفقودة، « المقاومة من خلال الشعر الشعبي بمنطقة الزيبان » الخلدونية ، ع3(2004) ص 99.

(35) بومعزة :هو محمد بن عبد الله ابن واضح ابن عبد الله من مواليد 1820م،اعتقل وسجن ثم أطلق سراحه في 1852م.أنظر:موسوعة اعلام الجزائر 1830-1954،ص 85.

(36) حرز الله، منطقة الزاب، المرجع السابق، ص 218 .

(37) زوزو ، الأوراس ابان، المرجع السابق، ص ص 135، 136 .

(38) إنتاج جمعية أول نوفمبر في الأوراس، تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 1837 إلى 1945 (مطابع عمار قرفي، باتنة: 1988)، ص 120، 121 .

(39) المرجع السابق، ص 122 .

(40) عزوي، المرجع السابق، ص 43 .

(41) فيما يخص موقف الباي من العائلات الكبرى وإنعكاساتها على المقاومة، ينظر:صالح فركوس، الحاج احمد باي قسنطينة (ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر: 1993)، ص 48-50 .أنظر كذلك: Jeanne et andre brochier, livre d'or de l'Algérie (baconnier freres, Alger : 1937) ,p292.

(42) بعدما حوصر الزاب الشرقي من طرف ديبوسكي حيث عسكر بين الزريبة وواد المنصف، وبالمقابل كان كانروبير وسان جيرمان يشرفان على العمليات بما فيها الأوراس،منذ شهري ما ي وجوان 1848م.أنظر: أحمد طالب الابراهيمي« مقاومة الأوراس في عهداحمد باي »الملتقى الوطني الأول حول مقاومة الأوراس في عهد احمد باي، الجمعيةالثقافية لتخليد المعركةالكبرى، فرغوس أكباش(الجزائر، 2006).

(43) عبد الجليل التميمي« مغامرة فرض الحماية التونسية على وهران عام 1831 » المجلة التاريخية المغربية ،ع5 ،تونس (جانفي 1976) ص 5-19 .

(44) جمعية أول نوفمبر، تاريخ الأوراس، المرجع السابق، ص 123- 127 .

(45) واحة قرب ليشانة تابعة لدائرة طولقة ، تبعد عن بسكرة بحوالي 40 كلم .

(46) هو الشيخ بوزيان الزعطوشي، كان يشغل منصب شيخ واحة الزعاطشة،عينه البركاني ممثل الأمير عبد القادر. أنظر: موسوعة أعلام الجزائر1830 – 1954، المرجع السابق، ص 85 .

(47) Charle Robert Ageron, les Algériens musulmans et la Jusqu'à 1871-191, T1 (press univer, de Jusqu'à, Paris : 1968) p03.

(48) Paul azan, conquête et pacification de l'Algérie (Paris : S.D) p 396.

(49) seroka jusqu'à, op, cit, p 504.

(50) أحمد خمار، المرجع السابق، ص 15 .

(51) Féraud, op, cit p 399, voir aussi : Paul Gaffarel , conquise depuis la prise de constantine jusqu'à nos jours (paris : 1886) p 169.

(52) Halim Cherfa, l'heroique bataille de Zaatcha (el Maaraf, Annaba : 2007) p46.

(53) ابراهيم مياسي، من قضايا ، المرجع السابق، ص 78 .

(54) سيروكا:نائب قائد المكتب العربي حينها ببسكرة.أنظر:عمار بوحوش،التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962(ط3 ؛ دارالبصائر ، الجزائر:2008)ص129.

(55) Seroka, op, cit, p504.voir Aussi : Féraud, op, cit p 401.

(56) Bouaziz Ben Gana, op, cit, p 115.

(57) انتشرت بالزيبان وتفاعل معها أولاد نايل والحضنة وبوسعادة والأوراس وأحمرخدو، بدعم من مقدمي الرحمانية والشيخ حامد بلحاج ببوسعادة وابن الجودي شيخ أولاد زيان .ينظر: العربي منور،تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر ميلادي (دار المعرفة، الجزائر: 2006) ص 245 ، 246 .

(58) مياسي، من قضايا، المرجع السابق، ص80، ينظر :

Paul Azan , l'armé d'Afrique de 1830 à 1852 (Paris : 1936) p 444

(59) مياسي، الاحتلال، المرجع السابق، ص 64 .

(60) معركة واد ابراز قرب سريانة عند مصب السد وتعرف أيضا بمعركة ساحة الحرشة وتبعد عن بسكرة بحوالي 20كلم

(61) Azan, op, cit, p 404.

(62) Herbillon (G) , quelques pages d'un vieux cahier , souvenires du général Herbillon 1794 -1860 (berger levroult , paris : 1928) p136 , voir aussi : herbillon (G) , insurrection sur venue dans le sud de la province de Constantine en 1849 , relation du siège de Zaatcha (Paris : 1863) .

(63) مياسي، الاحتلال، المرجع السابق، ص 64، 65 .

(64) أبو القاسم سعدالله الحركة الوطنية الجزائرية،ج1(المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1992) ص 355.

(65) الشاعر الأول من بلدة ليشانة والثاني من قرية فلياش، أنظر : المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون، إع وتق. جلول(يلس)، وأمقران الحفناوي (الشركة الوطنية للنشر، الجزائر: 1975) ص 55 – 60.

(66) Charles André Julien, histoire de l'Algérie Contemporaine, la conquete et les debuts de la colonisation 1827-1871, t1 (puf, paris : 1965) p 384.

(67) في إطار سياسة فرق تسد بين بن قانة وبوعكاز من جهة،وداخل أسرة بن قانة بتعيين بولخراص بن قانة على السحاري من جهة أخرى.وأحتج بن قانة على ادراج قيادة سي مقران في الزاب على حسابه .للتوسع انظر:عباس كحول،دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي1849-1859م،ماجستير،جامعة الجزائر2012،،2.

(68) outmani settar,l'insurrection dezaatcha1849,resistance et solidarite dans les zibans,these doctorat,universite de provence, aixmarseille1, 1998,p251, 252.voir :A .O .M15K25.

**- ينظر الملحق **ب(رسالة الشيخ بوزيان إلى الشيخ عبد الحفيظ الخنقي AOM.15.25)

*** -ينظر الملحق ***ج(رسالة الشيخ بوزيان إلى الشيخ الصادق بن الحاج AOM.15.25)

(69) Ipid,p253,254.

(70) محمد عيساوي ، نبيل شريخي، الجرائم الفرنسية في الجزائر اثناء الحكم العسكري1830-1870م (كنوز الحكمة،الجزائر:2011)، ص175.انظر:
feraud ,RA :n 30,1886,p79,80 .

ملاحق:

***أ- جماجم قادة وشيوخ المقاومة الشعبية بالمتحف الأنتروبولوجي بباريس**

** ب- رسالة من الشيخ بوزيان إلى الشيخ عبد الحفيظ الخنقي.

Lettre n° 01 :
De Bouzian à Si Abdel al-Hafidh
Date : juillet – août 1849
Source : A.O.M, 15 K 25, voir dossier intitulé « Documents trouvés à Zaatcha et à la djebira de Si Abdelhafidh à Sériana »

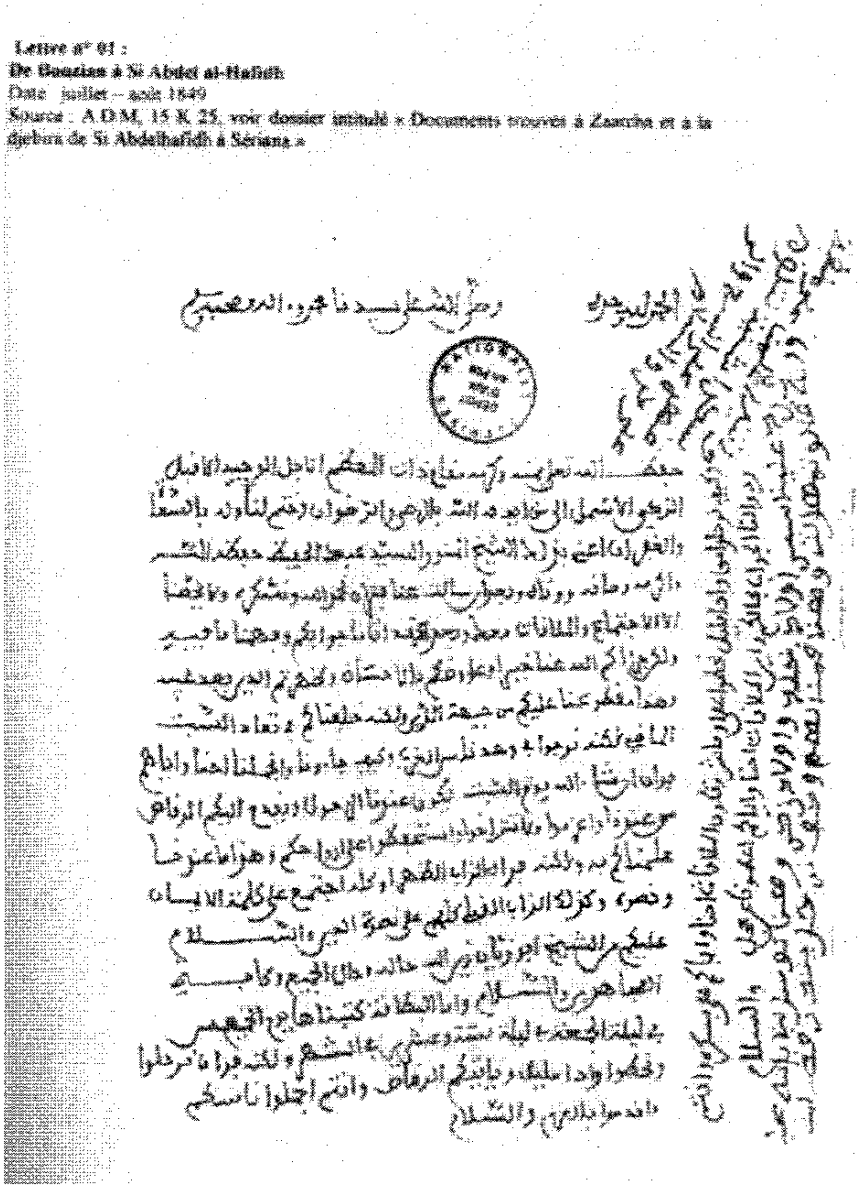

*** ج- رسالة من الشيخ بوزيان إلى الشيخ الصادق بن الحاج:

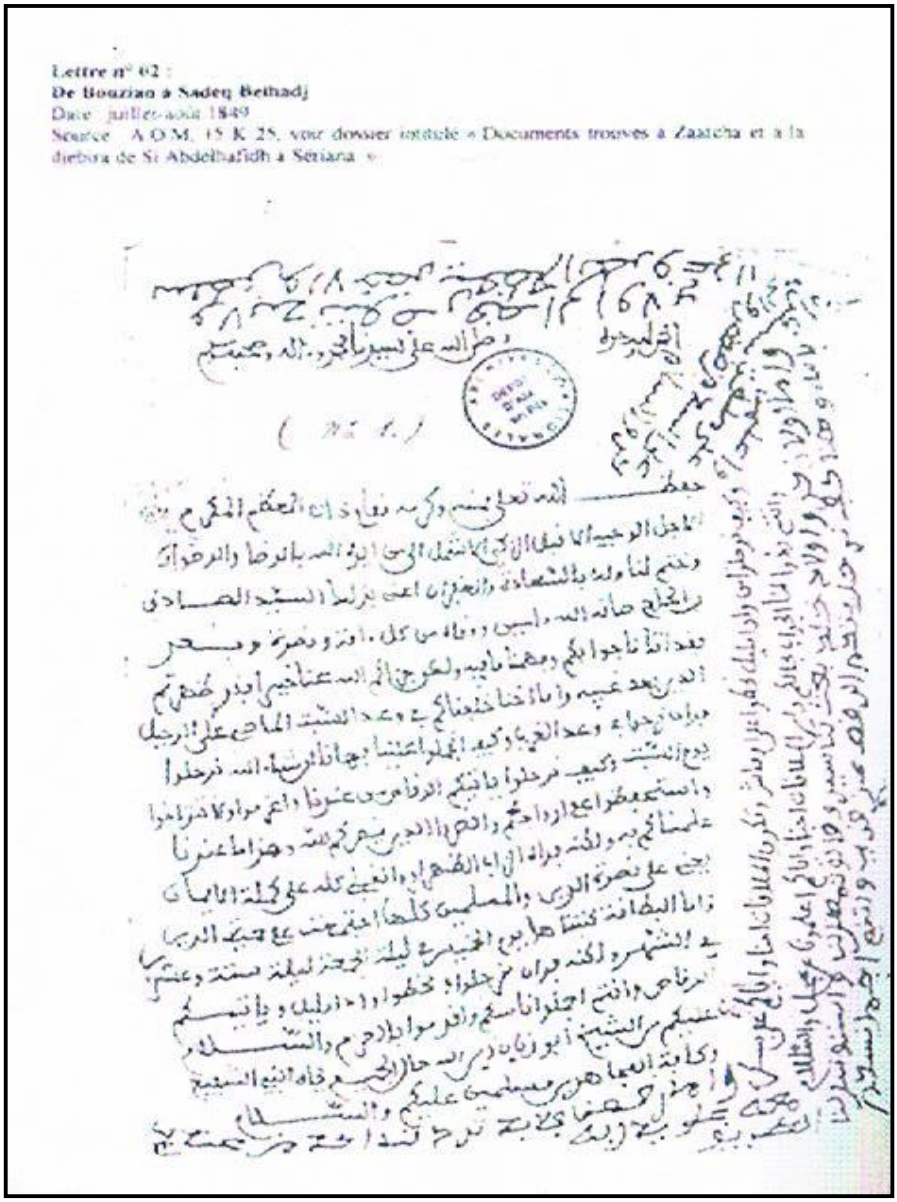

Lettre n° 62 :
De Bouziane à Sadeq Bethadj
Date : juillet-août 1849
Source : A.O.M. 15 K 25, voir dossier intitulé « Documents trouvés à Zaatcha et à la zaouia de Si Abdelhafidh à Seriana »